حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

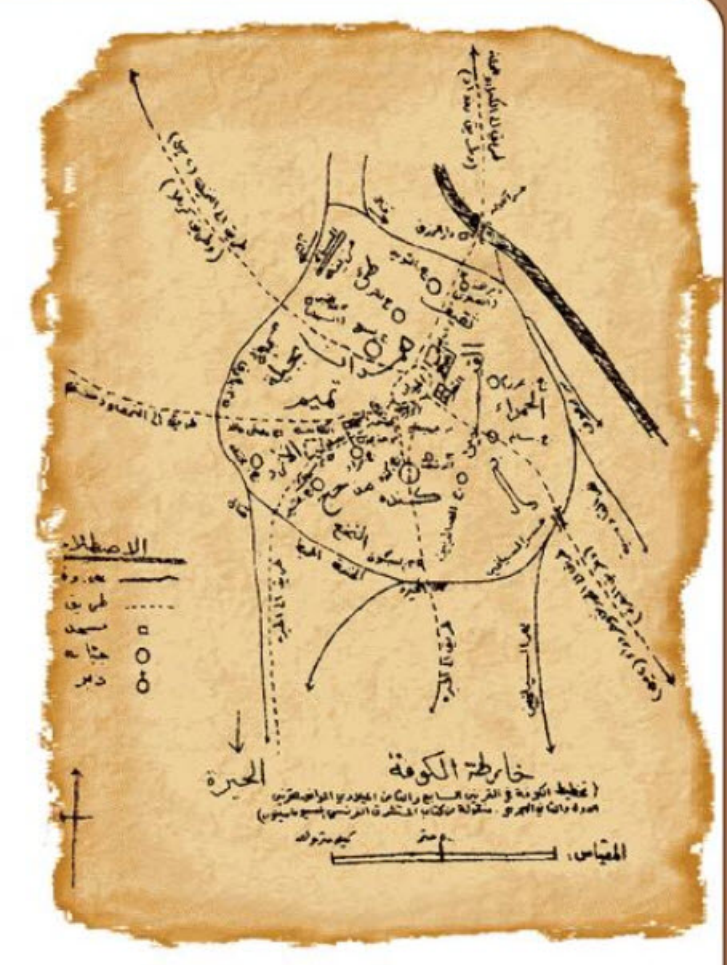

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

إغراق الباخرة البريطانية (فاير فلاي) في شط الكوفة
خلال الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠

الدكتور حسين حمد عبد الله الصولاغ

عد قيام الثورة العراقية الكبرى في ٣٠/ حزيران/١٩٢٠، أراد الميجر (نور بري) حاكم النجف عقد اجتماع مع زعماء عشائر النجف، في المكان الذي يختاره زعماء العشائر، وقد تم الإجماع على اختيار مضيف الشيخ مرزوك العواد مكانا للاجتماع[١].

وقد تم عقد اجتماع فعلا في يوم ٧/ تموز/١٩٢٠، وقد ضم كلا من (عبد الواحد الحاج سكر، علوان الحاج سعدون، السيد محسن أبو طبيخ، مجبل الفرعون، رايح العطية، سلمان الظاهر، السيد علوان السيد عباس الياسري، سلمان العبطان، عبادي الحسين، شعلان الجبر، السيد نور السيد عزيز الياسري، هنين الحنون، وفريق مزهر الفرعون)[٢]

غير أن الذي حدث هو أن (نور بري)، وبالرغم من كونه الداعي إلى الاجتماع، لم يحضره، بل أرسل ممثلا عنه هو الكابتن (مين) حاكم أبي صخير السياسي، الذي جاء إلى الاجتماع بمرافقة قوة من الشرطة[٣].

ولا يفوتنا في هذا الموقف أن نذكر أن الغرض الرئيسي من الاجتماع هو رغبة الزعماء العراقيين (زعماء العشائر العراقية) في القيام بمحاولة أخيره مع السلطة للوقوف على رأيها الأخير (حسب فتوى الإمام الشيرازي)، التي تنص على الجهاد، قبل أن يعلن زعماء العشائر العراقية الثورة ضد المحتلين في النجف وأطرفها تضامنا مع بقية المدن العراقية الثائرة، حيث كانت رغبة المجتمعين العراقيين، والتي هي رغبة العراقيين قديماً وحديثاً، المحافظة على الأمن والنظام، والتوصل إلى السلام دون إراقة قطرة دم واحده، إلا إذا وجدوا أنفسهم مضطرين لذلك[٤].

قدم الزعماء العراقيون مطالب عدة إلى ممثل سلطات الاحتلال، كان من أهمها:

١- منح العراق استقلاله التام.

٢- إيقاف القتال الدائر في الرميثة وأطرافها فورا.

وفي نهاية الاجتماع وعد الكابتن (مين) بعرض هذه المطالب على الميجر (نور بري) عند لقائه به[٥].

لم يتلق زعماء العشائر أي رد من السلطات البريطانية، مما دعى إلى خروج كل من (الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد هادي زوين، ومعهم جمع من قبيلة آل شبل، وآل إبراهيم) في يوم الأحد المصادف ١١/ تموز/١٩٢٠ فضربوا حصاراً محكماً على قصبة أبي صخير مساء يوم الاثنين ١٢/ تموز/١٩٢٠ ما اضطر الحامية الانكليزية إلى التحصن بسراي الحكومة، مستعينة (الحامية) بالباخرة الحربية (فاير فلاي)[٦].

كانت الباخرة (فاير فلاي) مجهزة بمدفعين من العيار الخفيف، واثنى عشر رشاشا، مع قوة كافية من الجند، فقامت باطلاق النار على الثوار فمنعتهم من التقرب إلى معقلها من ناحية، وأبقت الطريق مفتوحاً بينها وبين الحامية من ناحية أخرى[٧].

أمطر الثوار نيرانهم الكثيفة على الحامية، وشددوا عليها الحصار، وخوفاً من جنوح الباخرة بسبب انخفاض منسوب مياه نهر الفرات، فقد ارتأت السلطات البريطانية إرسالها إلى شط الكوفة للمحافظة عليها من التدمير[٨].

(١) كامل سلمان الجبوري: الكوفة في ثورة العشرين، ط١، مطبعة الأداب، النجف،١٩٧٢، ص٨١.

(٢) وميض جمال عمر نظمي: الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٨.

(٣) الجبوري، المصدر السابق، ص٨١.

(٤) عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى، ط٦، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٩٢، ص٢٦٧.

(٥) عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى: ص٢٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٦١.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٦٣.

(٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٤، مطبعة دار الكتب، بيرت، ١٩٨٠ص١٣٨.

حاول الانكليز شراء ذمة بعض ضعاف النفوس لإخراجهم من صفوف الثائرين، ولكن الثوار قطعوا عليهم الطريق، إذ أصروا على وجوب إخراج الكابتن (مين) من أبي صخير قبل أن يتمكن من عرقلة مسيرة الثوار[١].

وتلا ذلك قيام (عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري) مع آخرين بأخطار الكابتن (مين) بضرورة خروجه من أبي صخير لأنهم لا يستطيعون المحافظة على حياته، حيث اقتنع بوجهة نظرهم فتوجه الكوفة، مصحوباً بالحاج رايح العطية، والشيخ سليمان العبطان، وعدد من الحراس والأفراد، وترك حاميته محاصرة في سراي الحكومة[٢].

وقد عقد اجتماع في الجانب الشرقي من جسر الكوفة، حضره عن سلطات الاحتلال (الميجر نوربري، والكابتن (مين)، فيما حضره من جانب الثوار كل من (الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والحاج عبد المحسن شلاش، والسيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، ومزهر الفرعون، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، ورايح العطية، وعبادي الحسين، ومرزوك العواد)[٣].

اتفق المتفاوضون في الاجتماع على الأتي:

١- إطلاق سراح المبعدين من أحرار العراق وإعادتهم.

٢- منح البلاد العراقية الاستقلال التام وتشكيل حكومة عربية وطنية فيها.

٣- إيقاف القتال الدائر في الرميثة وأطرافها وبقية أنحاء العراق.

٤- إجلاء الحكام السياسيين عن جميع مراكز الفرات وجمعهم في بغداد ليتسنى للأمة العراقية التفاهم مع الحكومة البريطانية[٤].

وعلى أثر التوقيع على الهدنة طلب الميجر (نوربري) من الثوار إخراج الحامية المحاصرة في أبي صخير بكامل عددها وعدتها، وقد كانت هذه الهدنة خدعة أراد من خلالها الانكليز إخراج الحامية المحاصرة في أبي صخير، وقد كتب لهذه المحاولة النجاح[٥].

أجلى الانكليز حاميتهم المحاصرة إلى الكوفة، ثم قاموا بنقل جيشهم من معسكره الشرقي في الكوفة، واختاروا له دور الآهلين والخانات الواقعة على الشاطئ داخل المدينة، بعد أن اجبروا الناس على ترك دورهم ومحلاتهم مع ما تحتويه من أطعمة وتمور وأخشاب، كما تم إغلاق مداخل الأزقة بأكياس الرمل، وأوصلوا الدور ببعضها بواسطة الجسور الخشبية عبر الأزقة، مع المبالغة بشراء الحبوب والسكر والشاي والدهن والأغنام، وسائر الحاجيات الأخرى استعداداً للحصار[٦].

(استئناف المعارك وإغراق الباخرة)

وفي يوم ٢٠/ تموز/١٩٢٠ شاهد أفراد عشيرة بني حسن زوارق صغيرة عديدة محملة بالأرزاق والعتاد متجهة إلى الحامية في الكوفة، ولما أرادت هذه العشائر تفتيش هذه الزواريق امتنع من فيها عن الامتثال لهذه الرغبة مما اضطر العشائر لإطلاق النار عليها، بعد أن رأت في هذه المحاولة خرقاً للهدنة بين الطرفين، فعطلوها ونهبوا ما فيها من الحمولة[٧].

ولم تجد محاولات الثوار المتكررة لتذكير الانكليز بشروط الهدنة المعقودة بينهم نفعا مما دعى أهالي الكوفة إلى الهجوم على سراي الحكومة واحتلاله، ثم توجهوا بعد ذلك (الثوار) بقواتهم لاحتلال الكوفة، وأحكام الحصار على حاميتها، التي طوقوها بإحكام استعداد للقتال، ثم أخذت جموع العشائر الثائرة تنقاطر على الكوفة وضواحيها، وأثناء ذلك انقسم الثوار إلى قسمين:-

أولاً- قسم يلازم الكوفة لحصار الحامية فيها، وهم العشائر المحيطة بالكوفة مع قسم من العشائر الأخرى.

ثانياً- قسم يذهب لاحتلال الكفل، التي تركها الموظفون فتحشدت فيها جموع الثوار بقيادة عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري[٨].

كانت المهمة الرئيسية التي انطلق من أجلها القسم الثاني من الثوار إضافة لما سبق هي قطع طريق الإمدادات البريطانية نهرا وبرا للحيلولة دون وصولها إلى الحامية المحاصرة في الكوفة[٩].

أوعزَ الجنرال (هالدن) القائد العام للقوات البريطانية في بغداد إلى الكولونيل (لوكن) قائد الحامية البريطانية في الحلة بإرسال قسم من القوة في الحلة بقيادة الكولونيل (هاردكاستل) لمنع العشائر من إمداد الثوار في الشامية والنجف أولا، والمحافظة على سلامة سكة قطار (الكفل-حلة) ثانياً، وأخيراً لتخليص الحامية المحاصرة في الكوفة[١٠].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٩.

(٣) الحسني، الثورة...، ص٦٦٧.

(٤) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٣ص٢٦٣.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦٤

(٦) المصدر نفسه ص٢٦٥.

(٧) المصدر نفسه ص٢٦٦.

(٨) سر المرهولدن، ثورة سنة١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة دار الزمان، بغداد، ١٩٦٥ ص٢٤٧.

(٩) سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق١٩٢٠-١٩٥٨، ج١ط٢، دار الرواد، بغداد، ١٩٧٨ص٧٢.

(١٠) ل. ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرة في العراق، تعريب عبد الواحد كرم، دار الفارابي، بيروت١٩٧٥، ص١٢٣.

وبعد أحكام الثوار لحصارهم على الكوفة، قامت قوات الاحتلال البريطاني بقصف مسجد الكوفة يوم٢٥/ تموز/١٩٢٠، فقتلت عدداً من المصلين والمواطنين الآخرين الذين كانوا متواجدين فيه، ولاسيّما الناس العزل[١].

وفي أعقاب انتصار الثوار على قوات الاحتلال في معركة الرارنجية الخالدة، وتكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، غنم الثوار مدفعاً من عيار (١٨) بوند، مع عدد من القذائف التي يصلح قسم منها لاستعمال المدفع، وأخرى يدوية[٢].

ولما كانت الباخرة (فاير فلاي) الراسية في شط الكوفة تقلق بال الثوار بما تصبه من النيران الحامية عليهم لمنعهم من التقرب إلى الحامية المحاصرة هناك، فقد أراد الثوار في الرارنجية إرسال المدفع المسلوب إلى الثوار المحاصرين لحامية الكوفة، للبحث في إمكانية استخدامه ضد الباخرة، لعلمهم بان المدفع ينقصه المغلاق (الابرة)، الذي رفعه الانكليز منه بعد أن أيقنوا بوقوعه بيد الثوار[٣].

عرض المدفع بعد وصوله إلى الثوار المحاصرين للكوفة على ثلاثة من الضباط العراقيين الذين سبق وإن خدموا في الجيش العثماني وهم (حسين علوان، زكي أمين، سامي المفتي) حيث أكد الأخيران عدم إمكانية استخدامه دون الحصول على الجزء المفقود منه[٤]، فيما أشار حسين علوان، وهو ضابط متقاعد، إلى إمكانية تصنيع مغلاق المدفع بواسطة حداد، فجيء له بأحد الأسطوات القدماء في الحدادة يساعده الحاج رضا سلمان (الصيكل)، وبعد تنفيذ طلب حسين علوان تم تجريب المدفع دون وجود قذيفة (بالكبسولة فقط)، حيث تعالت الأصوات لنجاح تجربة إطلاق المدفع[٥].

بعد ذلك بقي الثوار لمدة ثلاثة أيام يتخوفون من اطلاق المدفع، لعدم وجود ما يضبط تهديفه، وعلى ذلك فقد أخليت منطقة كبيرة بجوار المدفع لتحاشي سقوط قذائفه على بيوت الناس الآمنين[٦].

وجه الثوار إنذاراً إلى الميجر (نوربري) قائد الحامية المحاصرة في الكوفة لتسليم الحامية وتنفيذ مطالب الثوار، ولما لم يستجب لذلك، فقد بادر الثوار إلى استخدام المدفع ضد قوات الاحتلال، وقد تم استخدامه من قبل حسين العلوان، الذي صوبه إلى الخانات لتجربة ضبط قياس المدافع[٧].

ثم وجه المدفع بعد ذلك إلى الباخرة الحربية (فايرفلاي) وأطلق منه ثلاث طلاقات، أصابت أحداهما مخزن عتاد الباخرة، فقفز منها عدد من القوة الموجودة عليها، وقتل عدد منهم، وذلك في١٨/ آب/١٩٢٠، وبذلك استراح الثوار من كثافة النيران التي كانت تصبها هذه الباخرة عليهم[٨].

أما بالنسبة للمدفع فلم يلبث الانكليز أن استطاعوا استرجاعه بعد إحدى المعارك الضارية التي خاضها الثوار ضدهم، حيث إن المحتلين بعد أن استعادوا توازنهم الذي اختل نتيجة للضربات الموجعة التي وجهها لهم الثوار، خرج الجيش الانكليزي من الحلة ودخل الكفل، ثم إلى الكوفة، وكان أول عمل قام به الجيش المحتل هو استعادة المدفع ونقله بسرعة، لكي لا يبقى بيد الثوار ما يدل على بطولتهم أولاً، ولكي لا يبقى رمز عار لقواتهم المحتلة ثانياً[٩].

الخلاصة:

لقد توصلت خلال بحثي الموسوم (إغراق الباخرة البريطانية فاير فلاي) إلى مجموعة من الاستنتاجات الخاصة بموضوع البحث، وبمن كتب عن هذا الموضوع، وهي كالآتي:-

١- هناك آراء عدة حول الطريقة التي استطاع بها الثوار استخدام المدفع، بعد أن كان عاطلا عن العمل، فمن إشارة إلى عمل الإبرة بوساطة حداد، ومن قائل بشرائها من قبل أحد الأشخاص من المعسكرات البريطانية، وأنا أرى أن إمكانية تصنيعها من قبل الثوار هي أقرب إلى الواقع من باقي الفرضيات.

٢- يذكر فريق مزهر الفرعون رواية غريبة عن جلب المغلاق ليس هناك مجالا لقبولها، مختصرها أن أحد الشباب من الثوار ذهب لجلب المغلاق، وقد اشتغل هذا الشاب عند أحد الضباط الانكليز الذين يعملون في شعبة الميرة والتموين، وقد استطاع الشاب كسب ثقة الضابط وده، وقد فتش عن المغلاق في المخازن حتى وجده فأتى به، ونحن نعرف أنه ليس من المعقول أن يثق الانكليز بأي شخص غير انكليزي على الإطلاق إلا بعد أن يمر بفترة تجربة طويلة، فكيف يثقون بشخص هو في نظرهم من الأعداء خلال هذه الفترة

(١) جريدة العراق، العدد٥٨، ٧آب ١٩٢٠.

(٢) الجبوري، المصدر السابق، ص١١٨.

(٣) محمد علي كمال الدين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٧١، ص١١٦.

(٤) فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة، ط١، د. د، بغداد، ١٩٥٢، ص ص٢٠٢-٢٠٣

(٥) الجبوري، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٦) علي البرزكان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١، ص٢١٨.

(٧) الجبوري، المصدر السابق، ص١٢٤.

(٨) الجبوري، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٩) المصدر نفسه، ص١٣٨.

القصيرة، وفي أيام الحرب؟، إن ذلك ليس من العقل بشيء لمن ينظر إلى الأمر بتبصر وتمعن.

٣- اجمع المؤرخون على أن الباخرة (فاير فلاي) قد أغرقت في شط الكوفة، وإن المياه قد ابتلعتها، لكننا لو نظرنا إلى الأمر بشيء من العقلانية والتروي لوجدنا ما يأتي:

أ- أن شط الكوفة، ومع كل اعتبار لكبر حجم الباخرة أو صغره، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغرق الباخرة، وإن تضيع هذه بين أمواجه، لاسيّما وإن المصادر نفسها تعود فتذكر إن الانكليز خافوا من جنوح الباخرة بسبب انخفاض منسوب مياه نهر الفرات، فأرسلوها إلى شط الكوفة للمحافظة عليها، فكيف يمكن لمياه بهذا القدر أن تغرق الباخرة؟

ب- إن الثوار حين أصابوا الباخرة، فإنهم قد نهبوا كل ما فيها من العتاد والمؤن، وعلى هذا الأساس فلا يستبعد أن تكون أجزاء الباخرة قد قطعت وانتهيت هي الأخرى.

ج- إن الانكليز لم يهدأ لهم بال على مسألة حصول الثوار على مدفع، إلا بعد أن استعادوا المدفع وهو متوقف عن العمل، فكيف بهم وهم يتركون باخرة من بواخرهم الحربية غارقة في شط الكوفة دون إن يحاولوا انتشالها وسحبها وإعادتها إلى بلادهم؟

وأخيراً لا بد لي من القول، والتأكيد على أن الباخرة الانكليزية (فاير فلاي) كانت بين أمرين لا ثالث لهما:-

الأول: إن الباخرة قد حطمت أوصالها وأخرجت من النهر على يد الثوار العراقيين بعد تدميرها مباشرة، وهو الأمر الأقرب إلى الواقع.

الثاني: إن الانكليز قاموا بانتشال الباخرة وإعادتها إلى بلادهم بعد انتهاء أحداث الثورة.

مصادر البحث

١- وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

٢- كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، ط١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٢.

٣- ل. ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، تعريب عبد الواحد كرم، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥.

٤- محمد علي كمال الدين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٧١.

٥- سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠-١٩٥٨، ج١ط٢، دار الرواد، بغداد، ١٩٧٨.

٦- سر المرهولدن، ثورة سنة ١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة دار الزمان، بغداد، ١٩٦٥.

٧- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط٦، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢.

٨- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٤، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٨٠.

٩- عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٣.

١٠- علي البزركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١.

١١- فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة، ط١، د. د، بغداد، ١٩٥٢.

الجرائد:

١- جريدة العراق، العدد ٥٨، ٧آب ١٩٢٠.

* * *